ومعناه حرفياً واحدة هذه هي ومؤداه : « هكذا كتب بالسريانية المطران بلسليوس الكائن في دير الاباء الموارنة برومية »

٣ ترجم فلسفة ارسطو الى العربية

٤ صنّف كتاباً سماه مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة ضمّنهُ براهين راهنة من الملافنة الشرقيين المقبولين لدى السريان تفنيداً لمعتقد اليعاقبة . وفي المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين ببيروت ومكتبة مدرسة الشرفة الاكليريكيّة نسخة منه ألّفهُ اذ كان مطراناً على آمد اي ديار بكر

٥ انشأ مائة وخمسين موعظة في كتاب سماه السائل لدفع الملّل وفي المكتبة الواتكانية ومكتبة الموارنة بحلب نسخة منهُ

٦ وضع كتاباً ضمنهُ السؤال والردّ على اعتراضات كوركيس الاوّل بطريرك اليعاقبة سنة ١٦٩٢ واتى بشهادات من ملافنة السريان خاصة لتأييد المعتقد الكاثوليكي . وفي مكتبة غبطة بطريركنا الجليل اغناطيوس افرام الثاني منهُ نسخة قديمة كاملة . واخرى في مكتبة مدرسة الشرفة

٧ الف غرماطيقا سريانيًا في عهد استقفيّته على ديار بكر وسماه ܢܗܘܪܐ ܕܡܠܬܐ اي نور المبتدئين ومنهُ نسخة في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين في بيروت واخرى في مكتبة مدرسة الشرفة

وكان المفريان الصالح الذكر متضلعاً بالسريانية والعربية والايطالية واللاتينية والتركيّة وغيرها . نفعنا الله سبحانه بصلواته وفضائله وآتانا اوفر الفوائد بعلومه وتآليفه

الصليب في عاديات رومية وسورية

للاب رينه موترد اليسوعي

ابرز قسطنطين الكبير في مدينة ميلانو سنة ٣١٣ مسيحية حكماً أُلغيت بموجبه تقارير التياصرة اسلافه في حقّ النصارى . فعُرفت النصرانية مذ ذاك الحين كدين قانوني يمكن الجميع الانضواء تحت رايته دون عائق البتة . فدخل حينئذٍ الدين المسيحي

في طور جديد ولاح على رؤوس الاشهاد بعد احتجابهِ في الديامس مدَّة ثلاثة قرون

وكما ظهرت اذ ذاك النصرانية في جلالها وعزّها كذلك برزت الفنون الجميلة المنوطة بالدين كالنحت والنقش والتصوير بعد ان كانت تتستَّر مستخفيةً في العزلة والخلوة فبدت بكل رونقها في ذلك الوقت

واكثر ما تجلَّت تلك الصنائع بمجالي الفخر وبمظاهر الابهة والجمال انما كان في بلاد سوريَّة حتى اضحت الصناعة النصرانيَّة الشامية شائعة في كلّ اقسام الدولة الرومانية واثَّرت في اعمال الصُّنَّعة المسيحيين في سائر البلاد. واليوم نكتفي بذكر اثر واحد من تلك الآثار الصناعية اعني الصليب ورموزه في العاديَّات النصرانية القديمة في رومية واقطار الشام. وفي بيان ذلك من الفوائد العلميَّة ما لا يخفى فضلًا عن كون الامر يشهد بايمان اهل تلك الاعصار السالفة وينطق بلسان حالهِ عن مكنونات صدورهم

١

وهنا سؤال نقدّمهُ على بحثنا هذا تمهيدًا لايضاح الامر. يقول السائل: هل عمد المسيحيُّون الاولون في اوائل النصرانية الى ابراز الصليب على صورةٍ هيوليَّة وبشكل محسوس؟ وفي اي زمن باشروا بتمثيله اما نقشًا واما نحتًا؟

وليس هنا كلامنا عن الصليوت اي صورة المصلوب الذي لم يُمثَّل على الصليب الَّا بعد قرونٍ عديدة ومن اراد الوقوف على صحَّة الامر فعليهِ بمقالة في هذا الصدد سبق حضرة الاب لويس جلابرت فنشرها في المشرق (٧: ٢٩٣ — ٣٠٢) وقد بيَّن انَّ اقدم ما يُعرف من تلك الصور لا يتجاوز القرن السادس وانَّ اخصَّها واشهرها صورة صلب السيد المسيح مُثِّلة على كتاب انجيل خُطَّ سنة ٥٨٦ للميلاد في دير زغبة من بلاد ما بين النهرين. ثمَّ اشار الى آثار غيرها لاحاجة الى تكرار ذكرها. وانما تزيد عليها اثرين جديدين لم يذكرهما حضرتهُ احدهما قطعة من القماش وُجدت في مدافن اخميم تمثل السيد المسيح على صليبهِ. والاخر صفيحة من فضة تُحفظ في پرم (Perm) من اعمال روسية اصطنعها بعض العملة السوريين وكلا الاثرين من القرن السادس للمسيح ايضًا

اما اذا عدلنا عن ذكر الصَّليوت الى الصليب وحده فان آثارهُ في العاديَّات النصرانية كثيرة منذ القرون الاولى للميلاد دون انقطاع الى زمن مجمع نيقية الثاني حيث اعلن آباء ذلك المجمع بوجوب تأدية الاكرام لصور القديسين وفي مقدَّمتها صور

السيد المسيح وخصوصاً مثال آلامهِ المحيية اعني الصليب الذي جعلهُ آلةَ للخلاص فيحقُّ له الاكرام كما يكرّم الجنديُّ رايتهُ التي اعانتهُ على الفوز بالغلبة او يقبّل السيف الذي نجّاهُ من فتك عدوهِ به

لا غرو انَّ المسيحيين منذ قرون النصرانية الاولى رسموا صورة الصليب على ادوات خفيفة النقل يسهل احتجابها عن اعين الوثنيين وذلك تبرُّكاً بتلك الرسوم ولاستدرارًا للنعم الالهية من ايدي المخلص الذي اتخذ خشبة العار كسلاح أباد بهِ ملك العدوّ الجهنمي

فمن تلك الآثار فصوص وحجارة كريمة كان النصارى يتختَّمون بها تُرى اليوم في متاحف اوربَّة فعليها علامة الصليب واضحة ظاهرة وذلك قبل عهد قسطنطين الكبير بسنين عديدة

وقد ورد في اعمال الشهيد السوري القديس بروكوبيوس المستشهد في ايام ديوقلطيانوس قيصر انهُ تقدَّم الى جوهريّ في بيسان في السامرة بان يعمل لهُ صليباً نصفهُ ذهب والنصف الاخر فضة ليحملهُ على صدرهِ (١

الَّا انَّ هذه الآثار وغيرها مثلها كانت لبعض الافراد ولا تشهد على شيوع اكرام الصليب شيوعاً كافياً. فلا بُدَّ اذن من البحث عن آثار أخرى عمومية مرسومة على ابنية تعمُّ النصارى

(قلنا) انَّ رسم الصليب في الآثار العمومية أقل منهُ في الاثار الخصوصية والسبب واضح وهو خوف النصارى الاولين من أن تُتهن علامة الصليب او تُهتك حرمتها فلذلك قبل عهد قسطنطين الملك لا ترى تلك العلامة واضحة جليَّة الَّا في آثار قليلة اخصُّها دياميس رومية. والدياميس كما هو معلوم كانت اسراباً خفيَّة محفورة تحت مدينة رومية كان يقتلع منها الرومان اولًا حجارةً وموادَّ أخرى يتَّخذونها لابنيتهم. ولمَّا ظهرت النصرانية وسعى اعداؤها الوثنيون في اضطهاد تبعتها وقتل المتدينين بها لم يجد النصارى وسيلة اجدر بالنجاة من ان يسكنوا تلك الدياميس ويقيموا مناسكهم في دفائنها ثمَّ

(١) اطلب معجم العاديات لمارتيني وكتاب برايار عن الصليب
Martigny: *Dict. des Ant. Chr.*, 3e ed., 214; Bréhier: *Les origines du Crucifix dans l'Art*, 21.

وجدوها بعد قليل قد ضاقت مع وسعها عن جمع شملهم فأخذوا يزيدون في حفرها ويوسّعون مسالكها وجعلوها طبقات عديدة ينزلون اليها بسلالم او مراقٍ خفيَّة لا يعرفها الّا اصحابها واتّسعوا فيها حتى بلغوا ضواحي رومية . وكانوا يدفنون موتاهم في تلك الديامس ويتمّمون فيها كل واجبات ديانتهم . وقد حسب بعض المهندسين طول تلك الانسراب فوجدها لا تقل عن ٨٧٦ كيلومترًا وهي لعمري مسافة عظيمة تدلُّ على انتشار النصرانيَّة في عاصمة العالم الروماني . وقد بقي من تلك الانسراب قسم كبير لم يفتحهُ حتى الان ارباب الآثار . امَّا القسم الذي يُعرف منها فهو كلهُ كمتحف من العاديات النصرانيَّة مشحون بكل اصناف المآثر الدينية . وبين تلك الآثار عدد وافر من رسوم الصليب يمكننا ان نقسمها اقسامًا على اختلاف اصنافها

فمنها صنفٌ يمثل الصليب جهارًا لا يشكُّ ناظرهُ في غاية تصويره اعني اكرام آلة خلاص البشر ويُعرف من تلك التصاوير تقريبًا حتى الان عشرين صورة . منها صورتان تمثلان الصليب المعروف باليوناني ذا الاربعة الاطراف المتساوية + وهو متحم مرةً بين اسمين يونانيَّين هكذا : POMNA + EIPHNH . وقد ورد رسم هذا الصليب في احد المدافن على آجرَّة مكررًا ثلاث دفعات . ولعلَّ هذا الشكل من الصلبان المربعة هو اقدم صورة لعلامة الخلاص اذ يرتقي عهدهُ الى القرن الثاني (الصورة ١ عدد ١ ص ٢٩٦)

وقد جاءت صورة الصليب على الشكل المعروف باللاتيني ذي العارضة السفلى الطويلة † في آثار اقرب الينا عهدًا في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع . منها صفيحة ضريحيَّة وُجدت في مدفن القديسة دوميتيلا ترى على الصفيحة تحت اسم الدفين سعفًا من النخل مع صليب لاتيني (الصورة ١ عدد ٢)

على انَّ هذه الصور الجليَّة كما قلنا كانت نادرة كأنَّ النصارى الاوَّلين تخوَّفوا من عرض الصليب للاهانة اذا اظهروهُ علانيةً . ولعلَّهم لم يكثروا من تصوير الصليب في الديامس لأنَّ الديامس كانت مدافنهم فآثروا ان يرسموا عليها صورًا غيرها تشعر باتيانهم في الاخرة ويرجائهم بالخلود بدلًا من نقش الصليب الذي يذكر بالالام وعذاب الموت

هذا ما يختص بصور الصليب الظاهرة لكل العيان غير المحجوبة تحت ستر الرموز . امَّا صورهُ الرمزيَّة المشيرة اليهِ باشارات لطيفة خفيَّة التي كان يدركها اصحاب المعرفة فقط

فانها اكثر من ان تحصى وكان النصارى يفضلون تلك التصاوير التلميحية على غيرها لانها كانت تثبت ايمانهم دون ان تثير عليهم فتن المشركين وتبعث في قلوبهم البغض والشحناء.

واوّل صورة من هذا الشكل الخفيّ لدى الاجانب مع وضوح معناها للنصارى حرف التاء العبرانيّة. وهذا الحرف الذي يُرْسم اليوم هكذا ת كان يرسم في الزمن القديم على هذه الصورة × وشبهها بالصليب ظاهر. وفي سفر حزقيال (٩: ٤ و ٦) انّ الربّ امره برؤيا بقتل كل من لم يُرْسم على جبهته علامة هذا الحرف. فالنصارى الاولون كانوا يلمحون الى كل ذلك برسم هذا الحرف. وكانوا يرسمونهُ على صورة التاء اليونانية على هذا الشكل T لامتزاجه ببقيّة الاحرف اليونانية (الصورة ١ عدد ٣) وربما رسموهُ في وسط اسماء الاعلام لئلّا يكتشف احد سرّهم كما ترى في الكتابة الآتية وهي تحتوي على ثلاثة اعلام ديونيسيوس وكيرلّس وايلارا:

ΔIONYTCIOY—KYPITΛΛOY—IΛΛTPA

ويشهد المعلم ترتوليان في اوائل القرن الثالث على استعمال النصارى لحرف T اليوناني دلالةً على صليب السيد المسيح. ويُحكى عن القديس انطونيوس ابي الرهبان ان رداءهُ كان مزدانًا بصورة الصليب على هذا الشكل

ومن الرموز التي تشير الى الصليب واتخذها قدماء النصارى للإشعار بايمانهم ورجائهم بنوع خفي المرساة وكان بولس الرسول قد شبه الرجاء المسيحيّ بها (عبر ٦: ١٠) فرسمها المسيحيون الاولون على آثارهم وقبورهم وزادوا على قبضتها عارضةً تمثل الصليب فلم يقف الوثنيون على غايتهم (اطلب الصورة ١ عدد ٤)

ومما استعارهُ النصارى الاوّلون من الرموز القديمة للدلالة على صليب ربهم علامةٌ وردت في آثار اليونان والهنود قبل المسيح وهي عبارة عن صليب مربّع لكلّ عارضة من عوارضه الاربع ملحق فاستعملهُ المسيحيون بين رموزهم الخفية الرامزة عن صليب المسيح (الصورة ١ عدد ٥) والاثريون يدعون هذا الصليب بالصليب الجميّ لانهُ عبارة عن اربعة حروف من الجيم اليونانيّة Γ (croix gammée)

وكذلك استعار نصارى مصر الاولون من ديانة المصريين الاقدمين شكلًا آخر استدلوا بهِ على الصليب المقدّس وذلك عبارة عن صليب ينتهي بعروة ☥ وكان قدماء

المصريين يجعلون هذه الاداة في يد آلهتهم اشارةً الى مصدر الحياة (croix ansée) فاتخذها النصارى المصريون كعلامة الصليب المحيي (اطلب الصورة ١ عدد ٦)

الصورة ١

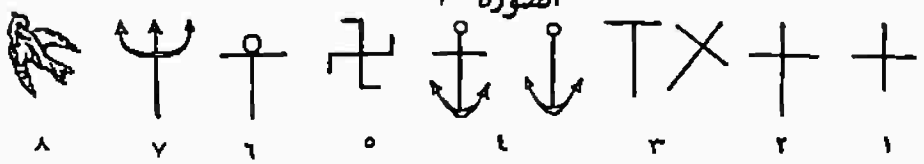

(١) الصليب المعروف باليوناني (٢) الصليب اللاتيني (٣) التاو العبرانيّة القديمة مع التاو اليونانية المشيرتان الى الصليب (٤) المرساة والصليب (٥) رمز الحياة عند المصريين (٦) الصليب المستعار عن الاثار الهنديّة (٧) شوكة اله البحر عند اليونان ورمز الصليب (٨) الطير الباسط لاجنحته كاشارة الى الصليب

وحجبوا ايضاً آية النداء تحت مظاهر أُخرى كسواري السُّفن فنقلوا الصليب بعوارضها . ومما رأيناهُ عند احد وجوه بيروت قالب قديم لاصطناع السُّرج والمصابيح فقد رُسمت عليهِ دائرة على شكل اطار وفي وسط الدائرة سفينة تمخر المياه وتعلو السفينة سارية معلّقة . وكذلك كانوا يتخذون الشوكة المثلثة الاسنان ٢ من رموز اله البحر عند الرومان ليشخّصوا بها الصليب (اطلب الصورة ١ عدد ٧) . او كانوا يرمزون اليهِ بطائر باسط جناحيهِ على شكل الصليب (انظر الصورة ١ عدد ٨) الى غير ذلك من الاشارات الدقيقة التي لم يدرك احد سرَّها غير النصارى

٢

كل ما تقدَّم قد سبق القرن الرابع وظهور الدعوة النصرانية بتغلُّب قسطنطين الكبير فان سرَّحنا النظر في عاديات رومية خصوصاً بعد هذا الزمان وجدنا النصارى قد تلطَّفوا في تصوير الصليب فأخرجوا لهُ صوراً على هيئات بهيَّة تأخذ بالنظر

واكثر ما ظهر اذ ذاك الصليب على صورتيهِ اليونانية اي المربَّعة واللاتينيَّة اي المستطيلة . ولا يظنَّن القارئ بان الصليب اليوناني لم يُرسم الَّا في بلاد اليونان واللاتيني الَّا في بلاد الغرب كلَّا فانك تجد صورتيهِ في رومية وفي الآثار اليونانية معاً ورسوم

الكنائس التي شيّدت وقتئذٍ تمثل اما الصليب اليوناني وامّا الصليب اللاتيني على سواء دون فرق بينهما في سائر الاقطار المسيحيَّة

وظهرت حينئذٍ الصلبان المزيَّنة ذات الاشكال الرائقة كالصليب المزدوج ✠ ✠ المعرَّض الاطراف (croix pattée) سواء كان يونانيًا او لاتينيًّا (الصورة ٢ عدد ١ و ٢)

وربَّما رُصّعت تلك الصلبان بالجواهر والحجارة الكريمة (croix gemmée) كالصليب القاتيكاني الذي هو من الفضة المموَّهة بالذهب تزيّنهُ الجواهر النفيسة اهداهُ الامبراطور يوستينوس الثاني للحبر الروماني (اطلب صورتهُ في المشرق ٣ : ٣٤١). ومثلهُ صليب بالقسيفساء يُرى في حنيَّة كنيسة القديسة پودنسيانة من اقدم كنائس رومية فانَّ المصوّر مثَّل هناك رواق اورشليم السماويَّة وفوق الرواق ابنية المدينة المقدسة يشرف عليها السيّد المسيح ويمار هامتهُ الالهية صليب مرصَّع

وفي النُصب الذي وجد في بلاد الصين في مدينة سيغان فو وتاريخهُ سنة ٧٣٥ للمسيح قد رُسم صليب من الصلبان المزخرفة (انظر الصورة ٤) مع كتابة صينيَّة وسريانيَّة ضمَّنها الناطرة المرسلون الى تلك البلاد ملخَّص العقيدة النصرانية وهذه الكتابة قد نشرها آخرًا الاب هثره (Havret) اليسوعي مع شرحها وبيان مضامينها ورسوم صورها (راجع المشرق ٧ : ١٠٣٥—١٠٤٣)

الصورة ٢

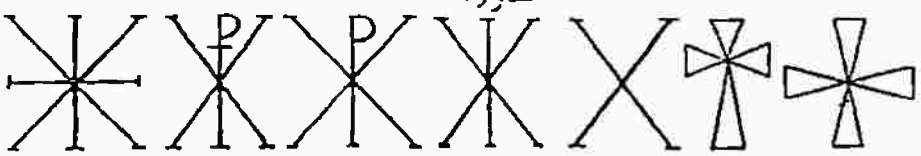

رسوم للصلبان القديمة المزخرفة او المشجَّرة

وممَّا شاع اكثر من كلّ ذلك صليب يعرف بصليب القديس اندراوس (crux decussata) لاستشهاد هذا الرسول على صليب من شكلهِ وهذه صورتهُ X يشبه حرف X اللاتينيَّة وحرف χ اليونانية . ولما كان هذا الحرف اوَّل حروف اسم

المسيح في اليونانية صوّرهُ النصارى الاوّلون حتى في القرون السابقة لعهد قسطنطين متوّهين باسم المسيح وصليبه معاً وذلك اما وحدهُ كما رأيت واما مسبوقاً بحرف الباء اليونانية اوّل اسم يسوع I على هذه الصورة IX وربّما ركّبوا الحرفين تركيباً لطيفاً هكذا * (انظر الصورة ٢ عدد ٣ و ٤ و ٥) وقد عُرفت هذه الصورة باسم المونوغرام (Monogramme du Christ) اي الشعار المشجّر وكثيراً ما يُستبدل الحرف الاوسط I بحرف الراء P ثاني اسم المسيح في اليونانية (انظر الصورة ٢ عدد ٦ و ٧). وقد زاد شيوع هذا الشعار منذ أمر قسطنطين برؤيا من الله ان يرقمهُ على رايته الحربيّة المعروفة باللاباروم (labarum) كما تراها في المشرق (٧ : ٧١٦). فعمّ استعمالهُ كلّ اطراف المعمور فكانوا يتفنّنون برسمهِ فتارة يرسمونهُ بسيطاً كما شاع عند اهل مصر وسوريّة وتارةً يجعلونهُ ضمن اكليل او يزينونهُ في طرفيهِ باسعاف النخل او يحيطونهُ باشعة من النور كلّ ذلك تنويهاً باتصار السيّد المسيح على الآلام والموت وظفرهِ بقوّات الجحيم

وفي اواسط القرن الرابع اخذ اهل رومية يجعلون الشعار المذكور في وسط اوّل الحروف اليونانية وآخرها اعني A Ω وقد ألمعوا الى آية وردت في سفر رؤيا يوحنا (٢٢ : ١٣) حيث يقول الربّ: «انا الالف والياء البداية والنهاية الاوّل والاخر» مشيرين بالحرفين المذكورين الى لاهوت المسيح ومجده الابدي معلنين بايمانهم على راس الملا ليس كما كانوا قبلاً متسترين مستخفين (١). وكثيراً ما يصوّرون صورة الربّ قريباً من تلك الرموز وهو ملتحف بالجلال جالس بهيئة السيد تارةً وحدهُ وحيناً مع تلامذتهِ لاسيما بطرس هامة الرسل الذي تراهُ قريباً من معلمهِ ممتازاً عن بقيّة التلاميذ. وفي بعض هذه التصاوير قد مُثّل السيد المسيح ورأسهُ متوج بهالة في وسطها صليب وعلى جانبي الصليب حرفا A Ω

*

دَعنا الآن ننتقل الى آثار الصليب في بلاد سوريّة خصوصاً فنقول:

انّ صور الصليب وردت في الصناعة السوريّة متعدّدة ذات هيئات مختلفة. فجاء الصليب على صورتهِ المألوفة بسيطاً في بعض الآثار منها نقشٌ منقور في الصخر وجدهُ

(١) اطلب الآثار النصرانية لبيرانه Pérate: *Archéologie chrétienne*, p. 199.

الكنت دي ڤوكويه (١ في قرية دير سنبل يمثل الحمل المرموز به عن السيد المسيح وعلى مؤخر ظهره صليب مربّع. وهي صورة فريدة لم يوجد شبهها في محل آخر وانما وجدوا في بعض جهات الغرب الحمل الالهيّ مستندًا الى الصليب او مضجعًا عليه

ووجدوا ايضًا الصليب في سوريّة على هيئة شعار قسطنطين مزيّنًا بحرفي اسم المسيح. من ذلك ناووسان من رصاص اكتشفوهما في صيدا. نُقش عليهما الشعار المذكور بسيطًا مع ان الناووسين مزدانان بالتصاوير والرسوم الجميلة (٢ بينها اساريع الجفنة واغصانها وروؤس ملائكة وآنية شتى بينها كأس يشرب منهُ حمامتان. وهناك حنايا في وسطها الصليب المستعار من حرف اسم المسيح وحول هذا الشعار لفظة يونانية IXΘYC معناها السمكة يُشار بها الى خمسة الفاظ جمعت حروفها الأولى مشجرة وهي تدلّ على صفات السيد المسيح (Σωτήρ) Σ (υἱός) Υ (θεός) Θ (χριστός) X (γἱοῦς) Ι اي «يسوع المسيح ابن الله المخلّص» (اطلب ما كتبهُ عن هذا في المشرق ٤: ٦٧٤ حضرة الخوري بطرس عزيز)

الّا انّ اهل سوريّة ما كانوا غالبًا ليكتفوا بتمثيل الصليب على صورة بسيطة وانما ارادوا ان يحيطوهُ بضروب الحليّ والنقوش المشعرة بتعظيمهم لآية الخلاص فترى في عدّة تصاوير وُجدت في سوريّة الوسطى كسرجلة وبتورسة وداثا وبارا الصليب بارزًا في هيئة جليلة فيعرّفون اطراف الصليب ويُحلّون جوانب شعار قسطنطين ويجعلون من جهتيه الحرفين اليونانيين Ω A وكثيرًا ما يزيدون الى هذه التصاوير رموزًا اخرى كصورة نجم واوراق نباتيّة مثلّثة الاطراف او يرسمون نقطًا على شكل ثلاثي يشيرون بكل ذلك الى لاهوت السيد المسيح وسرّ الفداء والى الثالوث الاقدس (اطلب المشرق ٨: ٦٢٠ والصورة ٣)

وفي بعض هذه التصاوير السوريّة قد جُعل الصليب او شعار المسيح في ضمن اكليل او قوس يدلّان على انتصار الربّ من اعدائهِ ويرقون تحت الصليب ادعية بالفوز والنصر كما ترى في احد آثار دير سنبل حيث كُتب تحت الصليب هاتان اللفظتان

(١ اطلب كتابهُ عن سوريّة الوسطى De Vogüé : *Syrie Centrale*, pl. 18

(٢ اطلب Pérate : fig. 218

TOYTO NIKA اي هذا قد غلب (١ . وتاريخ هذا الاثر سنة ٤٢٠ للمسيح

الصورة ٣

شعار اسم المسيح وصليبه في الصناعة السوريّة القديمة

ومما عهدهُ الصَّنعة السوريون في تصوير الصليب انهم كانوا اذا نقشوهُ على بناء ما زانوهُ بضروب التهاويل واحاطوه بالاسماط المزخرفة والقلائد المزوَّقة وحبلات الكرم وخرصان النخل المحبوكة واوراق الكنكر (acanthe) المتلوّية بينها الطيور الرمزيّة وخصوصاً الطاووس . وقد تلطَّفوا في صنع هذه الزخارف حتى عُرفوا بها واستعارها منهم حُذَّاق النقاشين في برّ الاناضول ومصر وبلاد الغرب وقد رسمنا هنا مثالاً لتلك الزين نقلاً عن كتاب الكنت دي ڤوكويه في عاديّات سوريّة الوسطى (٢ اخذ رسمهُ من عتبة باب قديم في قرية موجلية (اطلب الصورة ٤) . وقد وجدوا مثل هذه النقوش في مدينة رافانّة وهو صليب في جانبيه درابزين مزيَّنة بالاغصان والاكاليل كالآثار السوريّة التي ذكرناها (٣

واكتشفوا في رافانّة تاووساً تاريخهُ سنة ٦٥٨ يُشبه ايضاً الآثار السوريّة المنمقة . فعلى غطاء التاووس شعار السيد المسيح مثلثاً وعلى جانبيه طاووسان يوجهان نظرهما الى الشجر القسطنطيني تُحدق بها اصابع الكرم واغصانهُ . فتقليد صانع هذه النقوش للآثار السوريّة ظاهر . والسوريون كانوا اعتادوا هذه المحبوكات النباتية منذ زمن مديد كما ترى في نقوش هيكل بعلبك الذي تأخذ زخارفهُ الجميلة بالابصار وخصوصاً نقوش الهيكل الصغير فانها ايضاً تمثل حبلات الكرم واقداحاً وكؤوساً بديعة العمل (٤

(١ اطلب Syrie Centrale, pl. 151

(٢ Syrie Centrale, pl. 32

(٣ اطلب نشرة المراسلات اليونانية (Bull. de Corresp. hell., 1899. p. 264.)

(٤ اطلب تأليف الاب غاروشي اليسوعي في تاريخ الصناعة عند قدماء النصارى: Garrucchi: *Storia dell Arte Christiana* V, 491

وقد قلّد هذه الاعمال السوريّة محبّو الفنون الجميلة حتى اليونان كما تبيّن الامر في النقوش المكتشفة حديثاً في دلفي

وفي الآثار السوريّة النصرانيّة خواصّ أخرى امتازت بها وهي الاطارات الهندسية التي ينقشونها حوالَ تصاويرهم فكثيرًا ما يفصلون بين صورة وصورة بعمد وسوار يسندون اليها مثلثات او اقواساً مستديرة. ففي نواويس صيدا مثلاً قد جُعل شعار السيد المسيح ضمن اطار مقوّس. وربما مثلوا فوق الاقواس اصدافاً بحريّة كما ترى في ابنية بعلبك. ولعلّ نصارى الشام حذوا في هذه الاطارات حذو المَمَنة اليهود في فلسطين الذين كانوا ينقشون على مدافنهم مثل هذه النقوش محاطةً باطارات هندسيّة كالسواري والاعمدة تعلوها المثلثات في واجهتها اما النصارى فجعلوا تلك الاقاريز حول الصليب المقدّس او شعار السيّد المسيح زينة لهما

وبين الصور التي رسمناها ترى مثالين لهذه الأطر يكتفي الواحدُ منهما علامةَ الصليب والثاني شعارَ المسيح وهما على شبه حنايا قائمة على عمد وهذه النقوش المستعارة كما نظن عن الصناعة السوريّة موجودة في كنيسة قديمة في الاسكندريّة كانت على اسم القديس تاوناس منقورة في عواميد الكنيسة (١ (اطلب الصورة ٤). ووجودها هنالك يذكرنا بما كتبهُ روفينوس المؤرخ في اواخر القرن الرابع للمسيح بانّ نصارى مصر ازالوا من ابنية الوثنيين صورة الاله سيرابيس فجعلوا بدلاً منها صورة الصليب فصوّرها على ابوابهم وجدرانهم وعمد بيوتهم وعلى رؤوس اكلّتها

وما قالهُ روفينوس عن صور الصليب في مصر يصحُّ قولهُ في انحاء سوريّة حيث لا تكاد ترى بناءً قديمًا خاليًا منهُ . فكانوا ينصبونهُ ليس فقط في الهياكل والمعابد لكن ايضاً في الابنية العموميّة ويرسمونهُ على عتبات بيوت الخاصّة وعلى ابوابهم وعلى كل اثاث بيوتهم كاللابس والآنية والسُرُج . كما ترى السراج الذي نقلنا رسمهُ عن بعض عاديات صقلية وفيهِ شعار المسيح مع هذا الدعاء « الشكر لله » (٢ وجعلهُ الملوك حلية لتيجانهم ورسموا صورتهُ في نقودهم وزيّنوا بهِ صدور خاصتهم

١) اطلب نشرة جمعية العاديات في الاسكندرية (Bulletin de la Soc. Arch. d'Alexandrie, n° 5)

٢) في تاريخنا الكنسي (ك ٣ ف ٢٩)

وكانوا يودُّون خصوصاً ان تستظل رفاتهم في مدافن يزينها الصليب المقدَّس ويحرس بقاياها الى يوم الدينونة وقد ارادوا أنْ تظهر صورة الصليب حتى في رسوم ابنيتهم لاسيما البنايات الدينيَّة فمنذ ابتنى قسطنطين الكبير كنيسة القديسين الرسولين بطرس وبولس على هيئة صليب لتكون مدفناً لجسمه بعد موته اخذ النصارى في كل الاصقاع ولاسيما في سوريَّة يبنون هياكلهم على هذا الشكل تبرُّكاً . ولنا شاهد صدق على كرامة الصليب وشيوع صوره في بلاد سوريَّة بما كتبهُ احد ابنائها العظام القديس يوحنا فم الذهب في العشر الاخير من القرن الرابع في ميمره عن لاهوت السيِّد المسيح وكلامهُ احسن ختام لهذه النبذة قال: «ترى الصليب حيثما سرتَ . فانَّ الملوك ألقوا تيجانهم واتخذوا الصليب رمز موت الخلص حليةً لرؤوسهم كما انهم زانوا به حللهم الملكيَّة وارجوانهم . فان سمعت الصلاة ورنَّ في مسمعك اسم الصليب . ان سرت بين الجند نظرت رأية الصليب تتقدَّمهم . الصليب زينة المائدة المقدَّسة الصليب زينة العالم كلهِ فهو يغلب ضوءَ الشمس بانوارهِ الساطعة »

كتابة آرامية

لزكر صاحب حماة ولبش

للاب سبستيان ترفال اليسوعيّ مدرّس الآثار الكتابية في مكتبنا الشرقي

قد انجز العلَّامة المسيو پونيون قنصل فرنسة سابقاً في بغداد وحلب كتابهُ النفيس الذي ضمَّنهُ ما توفَّق الى اكتشافهِ من الكتابات الساميَّة في سوريَّة والجزيرة وجهات الموصل (٢ . وكان العلماء ينتظرون برغبة هذا التأليف لما يلقيهم عن مضامينهِ الجليلة . وقد سرَّحنا فيهِ النظَر فوجدناهُ سفراً جليلاً في قسمين من قطع الربع مزيناً برسوم وتصاوير

(١) اطلب Führer u. Schultze: *Die Altchristl. Graebstaetten Siziliens*, p. 289

(٢) هذا عنوانهُ

M. Pognon: Inscriptions Sémitiques de la Syrie, de la Mésopotamie et de la région de Mossoul, Librairie Lecoffre, J. Gabalda et C^ie^. Prix. 80 francs.